سيماء الولاة في كلام أمير المؤمنين (ع)

المناسبة: خطبتا صلاة الجمعة العبادية السياسية

الزمان والمكان: 18 رمضان 1421هـ ـ 1379/9/25هـ ش. طهران

الحضور: جموع المصلين الصائمين

ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكليف عام

ـ ثمار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الخطبة الثانية

ـ قضية فلسطين القضية الأولي

ـ موقفنا تجاه الكيان الصهيوني

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين؛ نحمده ونستعينه ونؤمن به ونستغفره ونتوكّل عليه، ونصلّي ونسلّم على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه، حافظ سره ومبلغ رسالاته سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين سيّما بقية الله في الأرضين، وصلّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله.

أوصي نفسي وكافة المصلّين من الإخوة والأخوات بالتزام التقوى والورع والخشية من الله في كل ما نمارسه من فعل وترك في حياتنا على الصعيدين الفردي والاجتماعي، وأن نؤثر رضاه على كل شيء، ونرى في ما يكلّفنا به فوزاً عظيماً، على أمل أن يعيننا صيام هذا الشهر ــ وهو شهر التقوى ــ على الاستزادة من التقوى وصلاح الأعمال.

هذه الأيام تختص بأمير المؤمنين (ع) بالإضافة إلى أنّ هذا العام قد توشّح باسم هذا الرجل العظيم أيضاً، فما هي يا ترى الغاية من ذكر أمير المؤمنين (ع)؟ إنها بالدرجة الأساس تتمثّل في أن نهيّئ هذه الفرصة لأنفسنا؛ كي نعبّر عن ولائنا له (ع).

إنّ التشيّع يعني: التبعية، وإذا لم تتحقق تلك التبعية له (ع) فإن ادّعاء الانتساب إليه سيكون ظلماً بحقّه, أضف إلى ذلك أننا نستطيع عبر التعريف بشخصيته العظيمة تنوير أذهان بني عصرنا وقلوبهم فيما يتعلّق بالمسألة الجوهرية في الإسلام، وهي إدارة المجتمعات البشرية في ظل نظام إسلامي ووفقاً للدستور الإسلامي، والمحور في كل شيء حكومة أمير المؤمنين (ع) التي استمرت بضع سنين، فلابدّ أن يكون المراد من حديثنا عنه (ع) هو التبعية له، ويتعيّن عليّ ــ بطبيعة الحال ــ التأكيد أنه بما أنّ نظامنا الإسلامي القائم في زماننا هذا يرتكز على أساس التبعية للأحكام الإسلامية فإن المعنيين بالدرجة الأولى في اتّباع أمير المؤمنين (ع) هم المسؤولون من الطراز الأول وأصحاب المناصب العليا في النظام الإسلامي.

لقد عنى أمير المؤمنين (ع) في خطابه كلاًّ من المسؤولين وأبناء الأمة معاً، والخطاب الموجّه لأبناء الأمة يشمل المسؤولين أيضاً، أما ذلك الموجّه للمسؤولين فهو يختصّ بهم وحسب؛ وهذا ما تعكسه الكتب التي كان (ع) يوجّهها، سواء تلك التي خصّ بها مالك الأشتر, أو التي بعثها إلى سائر عمّاله وولاته.

إننا اليوم ــ مسؤولين وشعباً في ظل نظام الجمهورية الإسلامية ــ بأمسّ الحاجة لمعرفة هذه التعاليم والتوجيهات والعمل بها، وإذا ما عملنا بها فحينذاك يتحقق المراد من الآية الكريمة {كنتم خير أمة أخرجت للناس}[1]؛ أي سنتحوّل إلى تلك الأمة التي لو نظر إليها العالمون جميعاً اتخذوها قدوة وأسوة لهم، وإلاّ فربما يصل الأمر بشعبنا ومسؤولينا

---

[1] سورة آل عمران، الآية: 110.

ــ لا سمح الله ــ إلى أن يصابوا بالعجز عن خدمة الإسلام، بل يساهمون في إضعافه؛ فالخطر يكمن فيما إذا ابتعدنا عملياً عن التعاليم الصادرة عن أمير المؤمنين (ع).

الحكومة في كلام أمير المؤمنين (ع)

أودّ في الخطبة الأولى التطرّق على نحو الإيجاز إلى بُعدين: أحدهما يتعلّق بالحكومة، والآخر يتحمّل مسؤوليته الشعب، غير أنّ دائرته تمتد لتشمل كلاً من الحكومة والشعب. وخلاصة ما ورد في كلمات أمير المؤمنين (ع) بشأن ذلك البعد المتعلّق بالحكومة تتمثل في:

الهدف من تسنّم المناصب في النظام الإسلامي

إنّ المنصب الحكومي ــ كما يراه أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ــ ينبغي أن لا يتحوّل إلى وسيلة لنيل الدعة والاعتياش والتكسّب الدنيوي، فهو ليس مهنة كسائر المهن؛ إنه تحمّل للمسؤولية, التي لا يسع العمل بها أن يكون وسيلة لأن يجني المرء المكاسب ويجمع الأموال ويؤمِّن مستلزمات حياته وحياة أسرته عن هذا الطريق، أو يعيش حياة السلامة.

إذاً ما الهدف المتوخّى من تسنّم المناصب في النظام الإسلامي؟ أنه تطبيق العدالة وتوفير الحياة الآمنة للجماهير، والتمهيد لإقامة مجتمع إنساني تتفتح فيه القابليات الضرورية؛ لسمو بني البشر وهدايتهم وصلاحهم؛ وإذا ما عرفنا أنّ هذا الهدف هو الذي يعنيه أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، إذ ذاك يتحقق المعنى المتوخّى من كل تلك الكلمات الصادرة عنه (ع).

لقد عبّر أمير المؤمنين (ع) عن استعداده لتحمّل أحلك الظروف وأقساها على أن لا يلقى الله سبحانه وهو ظالم لأحد من العباد، يقول (ع): «لئن أبيت على حَسَك السَّعدان مسهَّداً وأجرّ في الأغلال مصفّداً أحبّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من الحطام»[2].

---

[2] نهج البلاغة: 264. الخطبة (215).

وفي موضع آخر من نهج البلاغة يقول (ع): «إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضَعَفَة الناس»[3]؛ أي لا يحق لذوي المناصب في النظام أن يقرنوا أنفسهم مع الأعيان والنبلاء، ويقولوا مادام هؤلاء يتمتعون بمثل هذه الحياة والرفاهية فالأحرى بنا نحن المسؤولين في الجمهورية الإسلامية أو النظام الإسلامي أن نعيش مثلهم، ومادام الزعماء والوزراء في سائر الدول التي تحكمها نظم غير إلهية يحيون بهذا المستوى من الحياة أو يتمتعون بأسباب الدعة أو الإمكانيات المادية فلابدّ أن نحذو حذوهم.. كلا، فلا يحق لهم مقارنة معيشتهم مع ما يعيشه الأعيان والنبلاء والمتمكّنون أو المنحرفون؛ إذاً مع من يتحتم عليهم مقارنة حياتهم؟ «أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس»[4]؛ مع البسطاء من الناس، والتعبير بـ«ضعفة الناس» لا يعني العيش مثلهم، فربما لا يستطيع المرء العيش بحيث يقتّر على نفسه، بل مقارنة النفس ومقايستها إليهم، لا الأعيان والأشراف أو هذا الثري وذاك التاجر؛ فصاحب المنصب في النظام الإسلامي لا ينبغي له العيش كالأعيان والأشراف والمتمكّنين وأثرياء المجتمع, أو كالمسؤولين في الدول التي لا يحكمها نظام إسلامي.

إنها ثقافة خاطئة أن يمتلك مَن يصل إلى المسؤولية أو المنصب الحكومي داراً فارهة أو واسطة نقل من طراز حديث، أو يتنعمّ بإمكانيات معاشية خاصة، فذلك لا ينسجم مع التعاليم الصادرة عن أمير المؤمنين (ع) التي لا تقتصر على ذلك العصر, بل تمتد إلى جميع الأعصار، ولم يكن العوز وقتذاك يطال الناس بأجمعهم، بل إنّ الفتوحات درّت على البلدان الإسلامية ثروات طائلة, وكان هنالك من الأثرياء والتجّار مَن عاشوا حياة مرفّهة، وسواء كان ذلك عن طريق الحلال أو الحرام فلا شأن لنا بأفعالهم.

وفي زماننا هذا يأتي نداء أمير المؤمنين (ع) ليقول: ينبغي أن لا تتّسم معيشتكم بالدعة، وهذا ما يُعنى به المسؤولون في النظام الإسلامي، إذ عليهم مقارنة أنفسهم مع ضعفاء الناس وليس مع الأغنياء.

يقول (ع) في كتاب آخر بعثه للأشعث بن قيس : «وإن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه في عنقك أمانة»[5]؛ فالمسؤولية في النظام الإسلامي عبء يلقى على عاتق الإنسان يتعيّن

---

[3] المصدر السابق.

[4] نهج البلاغة: 244. الخطبة: (200) له عليه السلام بالبصرة.

[5] نهج البلاغة: 312. كتاب (5) له عليه السلام إلى أشعث بن قيس وهو عامل أذربيجان.

عليه تحمّله؛ من أجل هدف أو نيّة خاصة. وهذا هو الفهم الصحيح للحكومة والمسؤولية الإسلامية.

على المسؤولين في النظام الإسلامي أن لا يتخذ سلوكهم وممارساتهم طابع البذخ والبهرجة، والأدهى من ذلك أن تتّسم به حياتهم بحيث يتحوّل ذلك إلى ثقافة، وهذه المرحلة تفوق من حيث الخطورة المرحلة التي تسبقها أو لا تقل عنها على أقل تقدير؛ فلو فرضنا أنّ أحد كبار المسؤولين ومن ذوي المناصب العليا في الحكومة الإسلامية سلك سبيل البذخ في حياته من حيث البهرجة التي تطغى على محل سكناه أو محل عمله، أو طبيعة الحياة العائلية، أو كيفية تزويج الأبناء ــ المهر والجهاز ــ وما شابه ذلك؛ مما يعد خروجاً عن النهج الإسلامي، إذ ذاك يتحوّل هذا التصرّف إلى ثقافة تلفت أنظار الآخرين نحوها فيتعلّمون منه، حينها ترتفع معدّلات المهور ويصعب الزواج فتتعقّد الحياة، وهكذا تسري مردودات هذا التصرّف في ثنايا المجتمع شيئاً فشيئاً، سواء على المدى البعيد أم القريب.

إنّ أهم ما يركّز عليه أمير المؤمنين (ع) هو: على الحاكم أن لا يتخذ من الحكومة وسيلة للإعتياش وجَنْي العوائد المالية وجمع الثروات، وعليه أن يعتبرها مسؤولية وعبئاً ملقىً على عاتقه، وأن يصبّ جُلّ اهتمامه على البلوغ بهذا العبء إلى الغاية المرجوّة.

النقطة المحورية لهذه المسؤولية تتمثل في مراعاة حقوق الناس والتزام العدالة والانصاف في القضايا الخاصة بهم، والسعي والجد لتلبية متطلّباتهم؛ فالأصل بالنسبة للحاكم الإسلامي طموحات الناس ومتطلّباتهم، ولقد صرّحتُ بذلك قبل عدّة أيام أمام مسؤولي البلاد؛ فالوجه الأول لمسألة حاكمية الشعب هو: أنّ الشعب يبادر لانتخاب المسؤولين، أما الوجه الثاني فهو: إذا ما وصل المسؤولون إلى مناصبهم فعليهم أن يركّزوا همّهم في تلبية حوائج الناس والعمل من أجلهم، وهذا ما تفوح به كلمات أمير المؤمنين (ع)؛ فقد نقل عنه (ع) قوله لمالك الأشتر: «مَن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده... وكان له حرباً»[6]. وبالرغم من أنه (ع) يوجّه خطابه لولاته ــ ومنهم مالك الأشتر، والأشعث بن قيس، وعثمان بن حنيف وغيرهم ــ فإن الخطاب يشمل أيضاً كافة المسؤولين ممن يمسكون ببعض الأعمال على مختلف المستويات.

---

[6] نهج البلاغة: 382. كتاب (53) له (عليه السلام) الذي كتبه للأشتر النخعي (رحمه الله).

إذا ما أراد الحاكمون وأصحاب المناصب في النظام الإسلامي الاضطلاع بهذه الواجبات فهم بحاجة إلى خصلة أخرى هي: الإخلاص لله والعمل في سبيله, وإدامة الاتصال به؛ فلا يقتصر ارتباط القائم على الأمور وصاحب المنصب في النظام الإسلامي على العلاقة مع الأمة، فإذا لم يوثّق علاقته بالله تعالى تعثّر العمل من أجل الناس وخدمتهم ــ وتلك هي مسؤوليته الجوهرية التي ينبغي تعزيزها بالارتباط الوثيق مع الولاية ــ، من هنا فإن أمير المؤمنين (ع) ــ كما ورد في نهج البلاغة ــ يضيف في كتابه لمالك الأشتر «واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت»[7]؛ أي لا تُوكِل حالة الارتباط بالله والإنابة إليه والتضرّع له إلى أوقات تعبك وكسلك، ثم يقول (ع): «وإن كانت كلها لله»؛ أي وإن كانت جميع أعمالك لله حينما تكون مسؤولاً وذا منصب في الحكومة الإسلامية، والشرط في ذلك «إذا صلحت فيها النيّة وسلمت منها الرعيّة»[8]، ولكن في نفس الوقت دع لأعمالك التي هي من العبادات متّسعاً من الوقت للخلوة مع الله سبحانه. هذه هي الصورة لذوي المناصب في النظام الإسلامي وفي قاموس أمير المؤمنين (ع).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكليف عام

إنّ كل ما بحوزتنا عن أمير المؤمنين (ع) غالباً ما يتعلّق بفترة حكومته، أما ما يتّصل بفترة خمسة وعشرين سنة عاشها من وفاة النبي(ص) حتى استلامه للخلافة فهو محدود للغاية، فيما تتصف المرحلة التي قضاها أثناء وجود النبي (ص) بالطابع الجهادي وخضوعها لإشعاعات شخصية النبي الأعظم (ص)، وعليه فإن ما يروى عن أمير المؤمنين (ع) غالباً ما يتّصل بفترة حكومته التي استمرت إلى ما يقرب من خمس سنين، وقد صدر عن حاكمٍ ليرسم من خلاله الخُلُق الذي ينبغي للحاكم التزامه، ويختص بُعدُه الأول بالواجب الملقى على عاتق المسؤولين، ويتمثّل في أنّ المسؤول في النظام الإسلامي مكلّف بالعمل من أجل الخلق وفي سبيل الله، لا من أجل أهوائه ومصالحه الشخصية، فيما يرتبط بُعدُه الآخر ــ وسأتطرق له باختصار ــ بعامّة الناس، وهو

---

[7] المصدر السابق.

[8] المصدر السابق.

يتمثّل بالدرجة الأولى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على صعيد الشؤون الاجتماعية.

وبطبيعة الحال فقد كانت التقوى في بُعدها الفردي موضع عناية فائقة من قِبَل أمير المؤمنين (ع)، ولكن ليس هنالك خطاب يفوق في شدّته وحزمه وصرامته الخطاب المتعلّق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه تكليف عام، ولنا أن نأسف لعدم بيان معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل صحيح؛ فالأمر بالمعروف يعني: توجيه الأمر للآخرين للقيام بالعمل الصالح، والنهي عن المنكر هو: زجر الآخرين عن فعل القبيح؛ وكل من الأمر والنهي فعل لساني ولفظي تسبقهما مرحلة أخرى هي القلبية, التي إن توفّرت اكتملت بها المرحلة السابقة؛ فإذا ما أعنتم النظام الإسلامي في أمر الناس بالمعروف, من قبيل الإحسان للفقراء والإنفاق, والتزام الأمانة, والمحبة والتعاون, والقيام بالأعمال الصالحة والتواضع، والتحلّي بالحلم والصبر, ودعوتهم لالتزام هذه الخصال، فإن كانت قلوبكم عاشقة ومتعلّقة بهذا المعروف اتّسم أمركم ذاك بالصدق، ومَن نهى عن المنكرات من قبيل الظلم والعدوان على الآخرين، وقضم الممتلكات العامة، والتطاول على نواميس الناس، وممارسة الغيبة والكذب والنميمة، والتآمر على النظام الإسلامي، والتحالف مع أعداء الإسلام، ودعا الناس إلى الابتعاد عن هذه الأفعال، فإن حمل فؤاده بغضاً لها إذ ذاك يكون صادقاً في نهيه، وفي مثل هذه الحالة يكون عمله منسجماً مع الأمر والنهي.

أمّا إذا تباين القلب واللسان ــ لا سمح الله ــ فحينها يدخل المرء في عداد المشمولين بهذا الحديث «لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له»[9]؛ فاللعنة الإلهية تحيق بمَنْ يأمر الناس بالمعروف؛ لكنه لا يعمل به، وينهاهم عن منكر؛ لكنه يرتكب ذلك المنكر، وهذا الأمر من الخطورة بمكان.

ثمار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إذا ما جرى بيان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحدودهما للناس حينذاك سيتّضح أنهما من أكثر طرز التعامل الاجتماعي حداثة ورقيّاً ونفعاً وفعالية، ولا يبقى

---

[9] نهج البلاغة: 150. الخطبة (129) في ذكر المكاييل والموازين.

مجال أمام الآخرين للادّعاء بأنه ضرب من الفضولية، كلا، فإنه نوع من التعاون والرقابة العامة, والتعاون على نشر الخير وتقويض الشر والفساد، والمساعدة على أن تعتبر الخطيئة خطيئة، فإن أسوأ الأخطار عندما توصف الخطيئة يوماً ما بأنها صواب, ويتحوّل العمل الصالح إلى سيّئة, وتطال يد التحريف الجوانب الثقافية؛ فعندما يشيع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين أوساط المجتمع فإن ذلك سيؤدّي إلى أن تعتبر الخطيئة في نظر الناس خطيئة إلى الأبد, ولن تتبدّل إلى صواب وعمل صالح.

وإنّ أخطر ما يحاك ضد الأمة من مؤامرة يتمثّل في العمل على تبديل الأعمال الصالحة ــ التي يأمر بها الدين وفيها يكمن صلاح البلد وتطوره ــ إلى أعمال قبيحة لدى الناس، فيما تنقلب الأعمال القبيحة لديهم إلى حسنة! إنه خطر في غاية الفداحة.

بناءً على ذلك فإن أولى ثمار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اعتبار الحسنة حسنة والسيئة سيئة، والثمرة الأخرى هي لو راجت الخطيئة في المجتمع واعتاد الناس عليها، فإذا ما أراد مَن يقف على رأس هرم المجتمع دعوة الناس إلى الخير والصلاح والمعروف، حينذاك سيواجه الصعاب في مهمّته, فلا يستطيع إنجازها بيسر، أو أنه ينجزها عن طريق رصد ميزانية باهظة؛ ولقد كان ذلك من دواعي عدم تمكّن أمير المؤمنين (ع) ــ مع ما كان يتمتع به من قوة وعظمة ــ من مواصلة طريقه, وأدّى بالتالي إلى استشهاده.

وقد وردت عنه (ع) رواية عجيبة تهزّ كيان الإنسان، حيث يقول (ع): «لتأمرن بالمعروف وتنهنّ عن المنكر أو ليسلطنّ الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»[10]؛ أي عليكم بتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوساطكم والتمسّك به وترويجه، وإلاّ فسيسلّط الله عليكم شراركم وشذاذكم وأراذلكم، أي سيؤول زمام الأمور في خاتمة المطاف بِيَد الحجاج بن يوسف الثقفي وأشباهه! فالكوفة نفسها التي كان أمير المؤمنين (ع) يقف على رأس الحكومة وصاحب الأمر والنهي فيها ويخطب في مسجدها، وصل بها الحال؛ نتيجة لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, إلى أن يقف الحجاج بن يوسف الثقفي في مسجدها يخطب في الناس ويعظهم كما يحلو له.

---

[10] الكافي: ج5، ص56. باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الحديث (3). وفيه بدل «ليسلطنّ» «لَيُستعملَن».

فمن هو الحجاج؟ إنه ذلك الرجل الذي لا فرق عنده بين دم الإنسان ودم العصفور! فلقد كان يقتل الإنسان كما يقتل الحيوان أو الحشرة، وقد أوعز ذات مرّة لأهل الكوفة بأن يحضروا عنده ويعترفوا بكفرهم ويعلنوا توبتهم، ومَن أبى قُطعت عنقه! لقد ابتليت الأمة بمثل هذه الضروب من الظلم العجيب الغريب الذي يفوق حدود التصوّر والوصف والبيان؛ وذلك نتيجة لإهمالها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإذا ما أهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتفشّت في المجتمع الأفعال المنكرة من سطو وغشّ وخيانة وأصبحت تدريجياً جزءاً من ثقافة المجتمع إذ ذاك ستتمهّد الأرضية إلى أن يمسك الأراذل بزمام الأمور.

وبطبيعة الحال فإن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دوائر متنوّعة أهمّها دائرة المسؤولين؛ أي عليكم أن تأمرونا بالمعروف وتنهونا عن المنكر؛ فعلى الشعب أن يطالب المسؤولين بالعمل الصالح، وليس ذلك عن طريق الدعوة والرجاء, بل عن طريق الأمر، وهنالك دوائر أخرى متعددة.

ولا تقتصر القضية على النهي عن المنكر، بل هنالك الكثير من الأعمال الصالحة التي ينبغي الأمر بها أيضاً؛ فبالنسبة للشباب يعتبر التحصيل العلمي والتعبّد والتحلّي بالأخلاق الفاضلة والتعاون الاجتماعي وممارسة الرياضة بأسلوبها السليم والمعقول والالتزام بالآداب والتقاليد الحسنة في الحياة، كل ذلك يعد من المحاسن، وهنالك الكثير من المسؤوليات والأعمال الصالحة بالنسبة للرجال والنساء وللأسرة، فحيثما دعوتم إنساناً للعمل بهذه الأفعال الصالحة فهو يعد أمراً بالمعروف، ولا يتحدد النهي عن المنكر بالردع عن الذنوب الشخصية، بحيث يتبادر إلى الذهن أن يسيء شخص ما التصرّف في الشارع, أو يرتدي زيّاً مُشيناً فيأتي مَن ينهاه عن ذلك؛ كلا، فالنهي عن المنكر لا يقتصر على ذلك، بل هو معشار العشر منه.

إنّ النهي عن المنكر يمتدّ ليشمل كافة المجالات؛ منها على سبيل المثال تطاول ذوي النفوذ على صعيد مجالات أعمالهم، وسوء استغلال المصالح العامة، ودخول العلاقات الشخصية في الشؤون العامة للبلاد من قبيل الواردات والشركات، واستغلال المصادر الإنتاجية، وترجيح المسؤولين للعلاقات الشخصية؛ فقد يرتبط تاجر وكاسب بعلاقة صداقة وتعاون فيما بينهما، فلذلك شأنه، وقد يقيم مسؤول في الدولة يتمتع بالصلاحيات ومقوّمات السلطة علاقة خاصة مع شخص آخر، فهذا هو الممنوع والمحذور وما يعتبر في عداد الذنب، ويتعيّن على كل مَن يطّلع على هذه الممارسات النهي عنها في حدود

دائرته أو القسم الذي يعمل فيه، سواء إزاء رؤسائه أو مرؤوسيه؛ كي يضـــيّق الخنـــاق على أولئك الانتهازيين.

كما يمكن ممارسة النهي عن المنكر في إطار الأُسرة أيضاً؛ ففي بعض الأُسر تهضم حقوق النساء والشباب والأطفال، ولابدّ من تنبيه هذه الأُسر ودعوتهـــا للالتـــزام بهـــذه الحقوق، ولا يقتصر إهدار حقوق الأطفال بعدم إبداء المحبة تجـــاههم، بـــل إنّ ســـوء التربية، والإهمال وعدم الاعتناء بهم والبخل عليهم بالعواطف وما شابه ذلك يعد ظلمـــاً بحقهم أيضاً.

وهنالك منكرات شائعة على صعيد المجتمع ينبغي بل يتعيّن النهي عنها، وهي مـــن قبيل إهدار الثروات العامة والحياتية، والإسراف في استهلاك الطاقة الكهربائية، وإهدار المحروقات والمواد الغذائية، والبذخ في استهلاك الماء والخبز؛ فإننا نهدر كميات كبيرة من الخبز، وهذا بحد ذاته يعد منكراً في البُعد الديني أو الاقتصادي والاجتماعي، ومـــن اللازم النهي عن هذا المنكر أيضاً.

وبمقدور أي فرد ممارسته إزاء المسؤولين عن تهيئة الخبز أو المستهلكين أو العمال، واستناداً للإحصائيات المتوفّرة لدينا فإن كمية الخبز المهدور تعادل كمية الحنطة التـــي نستوردها من الخارج! أليس هذا من دواعي الأسف؟!

إنّ كل تلك الموارد تعد من المنكرات التي يجب النهي عنها، وفي ضوء ما ورد في نهج البلاغة، فلقد جعل أمير المؤمنين (ع) النهي عنها أحد المحاور الرئيسة للتوجيهات التي أدلى بها؛ فمن خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحدد للمسؤولين المنهجية في العمل وكيفية إصدار الإيعازات ووضع الأصول، أمّا فيما يتعلّق بعامة الناس فيـــتمّ حثّهم على المشاركة والشعور بالمسؤولية وممارسة نشاطهم علـــى صـــعيد الشـــؤون الاجتماعية.

إننا نتحمّل مسؤولية كبرى هي ذات المسؤولية التي ضحّى أمير المؤمنين (ع) بنفسه في سبيلها، وسخر حياته بأكملها, منذ أن تبلورت في نفسه القدرة على الجدّ والنشاط ــ منذ إسلامه في صباه وحتى نهاية حياته سواء في مكة أو في المدينة، وما تلاها أو أثناء خلافته ــ ولم يتوقّف عن الجهاد والمثابرة في سبيل الله ولو لحظة واحدة.

إنّ أمير المؤمنين (ع) هو الأسوة الحقيقية لكل إنسان متأسٍّ يتوق للعروج بنفسه إلى ما يرتفع به فوق جميع مخلوقات هذا الكون ولا يرى وجوداً لأي شيء يقف في طريقه ويكبّله.

يروي[11] الأصبغ بن نباتة أنه لمّا أصيب أمير المؤمنين (ع) ورقد في داره، دخلتُ عليه فوجدته متعصّباً بعصابة وقد أصفرّ لونه وتغيّرت ملامحه ولم تكن صحتّه على ما يرام، لكنه أذن للناس ــ الذين كان يتملّكهم القلق والاضطراب ــ بالدخول فكانوا يدخلون عليه فرادى فيسلّمون عليه، وفي تلك الأثناء حيث بدت ملامح الإرهاق وسريان السم في بدنه حتى وصل إلى قدميه، خاطب (ع) الناس قائلاً: «سلوني قبل أن تفقدوني»[12]؛ فلم يتوقّف (ع) عن الجد والجهاد حتى قبل اللحظات الأخيرة من عمره، ثم اتبعها بالقول: «لكن خفّفوا عليّ». صلى الله عليك يا أمير المؤمنين.

أللهم إنّا نقسم عليك بمحمد وآل محمد أن تجعلنا أتباعاً حقيقيين لهذا الرجل العظيم.

أللهم إنّأ نسألك بمحمد وآل محمد أن لا تجعل أفعالنا وسلوكياتنا سبباً في إضعاف الإسلام وخط أمير المؤمنين (ع)، ووفّقنا لاقتفاء أثره ما حيينا، وأحينا على خطّه وأمتنا عليه.

أللهم انصر الإسلام والمسلمين.

أللهم وفّق الحكومة الإسلامية والمسؤولين في بلدنا الإسلامي لأداء مسؤولياتهم وأعمالهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

{قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد}.

الخطبة الثانية

---

[11] بحار الأنوار: ج 40، ص 45.

[12] نهج البلاغة: 283. الخطبة (231).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين سيّما على أمير المؤمنين والصديقة الطاهرة سيدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والخلف القائم المهدي؛ حججك على عبادك وأمنائك في بلادك، وصلِّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأستغفر الله لي ولكم.

قضية فلسطين القضية الأولى

يتركّز حديثنا في هذه الخطبة حول القضية الفلسطينية؛ ويرجع السبب في ذلك إلى أنّ قضية فلسطين تمثّل اليوم القضية الأولى بالنسبة للعالم الإسلامي، وثمّة مؤامرة يتعيّن على الأمة الإسلامية بأسرها، لاسيّما الدول القريبة من فلسطين ومنها شعبنا وبلدنا، الحذر منها، وهي: أنّ الصهاينة الغاصبين لفلسطين وحماتهم يحاولون الإيحاء بأن ما يجري داخل فلسطين إنما هو مسألة داخلية تهمّ حكومة إسرائيل الغاصبة؛ وهي ليست كذلك أبداً؛ فلو أنّ أحداً لم يَثُر داخل فلسطين من أجل القضية الفلسطينية فإن العالم الإسلامي يحتفظ بما يكنّه من عداء للصهاينة وحماتهم، فما بالك وقد ثار الشعب الفلسطيني ودخل ساحة المواجهة بكل وعي!

إنّ فلسطين هي القضية المركزية بالنسبة للعالم الإسلامي، وذلك لسببين:

الأول: إنها جزء من التراب الإسلامي؛ ولا خلاف بين المذاهب الإسلامية المعروفة أو بين الفقهاء على أنه لو اقتُطع جزء من أرض الإسلام من قِبَل أعداء الإسلام ومارسوا سلطتهم عليه، يتوجّب حينذاك على جميع المسلمين أن يهبّوا للجهاد؛ لاستعادة ذلك الجزء.

من هنا فإن الشعوب الإسلامية حيثما كانت تدرك هذه الفريضة؛ وبطبيعة الحال فليس الجميع لديهم القدرة على الفعل، ولكن على كل مسلم العمل بما وسعه.

من أجل ذلك فإنكم تشاهدون ما يبديه العالم الإسلامي من اهتمام بيوم القدس العالمي, الذي عيّنه الإمام الراحل في آخر جمعة من شهر رمضان المبارك، وستشـــهدون ـــ بفضل الله ومنّته ـــ أنّ مراسيم يوم القدس لهذا العام ستفوق ما جرى خـــلال الســـنوات الماضية جلالاً وعظمة على امتداد العالم الإسلامي.

والثاني: هو أنّ إقامة الدويلة اليهودية، أو بتعبير أدق الصهيونية، في هذه البقعة من العالم الإسلامي كان لغاية إستكبارية بعيدة المدى؛ فالغاية من زرع هذه الدويلة في هذه المنطقة الحسّاسة ـــ التي تمثّل قلب العالم الإسلامي تقريباً وتربط الشطر الغربي مـــن العالم الإسلامي وهو أفريقيا بشطره الشرقي وهو الشرق الأوســـط وآســـيا والمشـــرق الإسلامي، وتؤلّف مثلثاً بين آسيا وأفريقيا وأوربا ـــ إنما تتمثّـــل فـــي إبقـــاء هيمنـــة المستعمرين في تلك الحقبة وفي مقدّمتهم بريطانيا على العالم الإسلامي, والحيلولة دون قيام دولة إسلامية مقتدرة تتصدّى لنفوذ المستعمرين من فرنسيين وإنجليز وغيرهم فـــي هذه المنطقة كما فعلت الدولة العثمانية؛ من هنا فقد أقاموا هذه القاعدة.

واستناداً للوثائق التاريخية فقد كانت إقامة الحكومة الصهيونية طموحـــاً اســـتعمارياً راود الحكومة البريطانية قبل أن يكون رغبة تراود اليهود، وهنالك قرائن تؤكّد شـــعور الكثير من اليهود بعدم الحاجة لهذه الدولة؛ لأنها لم تكن ذات فائدة لهم، وكان ذلك دافعاً لتملّصهم عنها.

من هنا فلم يكن ذلك حلماً وفكرة يهودية وإنما هو دسيســـة اســـتعمارية بريطانيـــة، وأصبحت بعد ذلك تركةً استلّتها أمريكا بعد استحواذها على الإرث الاستعماري حينمـــا اختطفت من بريطانيا مقاليد السياسة الاستعمارية.

بناءً على ذلك، فإن إنقاذ فلسطين والقضاء على الدويلة الصهيونية الغاصبة قضـــية تنسجم ومصالح شعوب المنطقة، ومنها مصالح بلدنا العزيز إيران، وإنّ الذين وضـــعوا مقارعة النفوذ الصهيوني والتصدّي له في جدول أعمالهم منذ اليـــوم الأول لانتصـــار الثورة الإسلامية إنما التزموا ذلك بعد تمعّن وتدقيق.

لقد اتُّخذ هذا النهج في ضوء المصالح العامة للجمهورية الإسلامية في إيران والشعب الإيراني، وهكذا شأن سائر الدول؛ فجميع المثقفين والسياسيين ذوي الأفكار الحرة فـــي الدول الإسلامية ومَن لم تتدنّس أيديهم بالعمالة لأمريكا يرون وجوب التصدّي لإسرائيل؛ أي أنهم يرون ذلك جزءاً من مصالح بلدانهم.

إنّ قضية فلسطين ليست قضية داخلية بالنسبة لتلك الدويلة الغاصبة اللقيطة، إنها قضية عالمية رئيسة، وما هو جدير بالاهتمام هو أنّ الجيل الفلسطيني الصاعد قد أدرك الحقيقة، وأية حقيقة هذه؟ إنها حقيقة إذا ما أراد التغلّب على الذل والصَّغار والاحتقار والضغوط المفروضة عليه فلا سبيل لذلك سوى الجهاد والمقاومة وليس الجلوس على طاولة المفاوضات؛ فلم يجن المفاوضون شيئاً.

لقد بلغ سلوك الصهاينة من الوحشية والبعد عن موازين الرحمة والمروّة حدّاً بحيث أثار حالة من السأم لدى الشباب الفلسطيني؛ فلم يعد لديهم القابلية على التحمّل والصبر، فيما يتوهّم الصهاينة أنّ بإمكانهم إسكات الشعب الفلسطيني إذا ما تشبّثوا بالمزيد من العنف, ولجأوا إلى الدبابات والمدفعية والأسلحة الكيمياوية.

نعم؛ بإمكانهم ممارسة المزيد من الضغوط وإسكات الشعب الفلسطيني لفترة من الزمن، غير أنهم يعجزون عن القضاء على عقدة الغضب الكامنة في القلوب، فهي مما لا يمكن القضاء عليه، وهي التي ستتمخّض عن زمجرة وغضب يطيح بعروشهم؛ ولا قدرة لهم للقضاء على هذا التحرّك.

الأمر الآخر الذي يحظى ببالغ الأهمية هو: أنّ هذه النهضة قد أطاحت بكل حسابات الدويلة الصهيونية الغاصبة؛ تلك الحسابات التي قامت على أساس أنّ الشعب الفلسطيني لم تعد لديه القابلية والإرادة والفاعلية والاندفاع للمواجهة بعد أن مورست بحقّه كل تلك الضغوط منذ البداية, وتمّ تشريد أكثر من نصف الشعب الفلسطيني إلى الخارج ومضت سنوات متمادية، وقد أصبحت هذه الحسابات سراباً وانهارت دعائمها؛ فإذا ما صمّمت الآلاف المؤلّفة من أبناء الشعب الفلسطيني ــ وليس الفصائل التي تقيم خارج الحدود سواء في لبنان أو الأردن أو غيرهما ــ على مواجهة هذا الكيان يومها لم يبق أي أثر لتلك الأجواء الآمنة التي اتخذوها على أنها الجنّة الموعودة بالنسبة لهم, واستقطبوا المهاجرين اليهود من شتّى أصقاع الدنيا.

لقد انهارت حساباتهم فاضطرّت حكومتهم للاستقالة؛ وهذا هو الإجبار والإذعان بعينه، وقد يتصوّر أولئك الذين مارسوا الضغوط لإجبار الحكومة الصهيونية على تقديم استقالتها، وجوب استخدام المزيد من القوة والعنف والمجيء بحكومة أكثر قسوة، غير أنّ ذلك خطأ فادح؛ فليست القضية بتلك البساطة، بل هي من العظمة بمكان، فعليها

يتوقّف مصير العالم الإسلامي ودوله، لاسيّما الدول التي هي على مقربة من بؤرة الخطر ومن هذه الغدة السرطانية.

لقد تمادى الصهاينة في ارتكاب الجرائم خلال شهر رمضان، وإنكم تشاهدون الأطفال الصغار ذوي السنة أو السنتين واليافعين والشباب والكهول والمرضى يشكّلون ضحايا هذه الأحداث؛ ممّا يكشف عن مناهضة هذا العدو اللدود للإسلام والمسلمين ــ أي الزمرة المتسلّطة على هذا الجزء من العالم الإسلامي ــ للأعراف الإنسانية وحقوق الإنسان، وفي نفس الوقت يعلن أعضاء الكونغرس وأرباب السياسة في أمريكا بوقاحة عن دعمهم لهؤلاء الصهاينة! إنهم يقومون بذلك ويعبّرون عن مكنوناتهم التي تمثّل عين سياستهم وطبيعتهم في دعمهم لهؤلاء المفسدين ذوي الطبيعة الشيطانية الوحشية, ولا يتوقّع منهم أكثر من ذلك، بَيْدَ أنّ المطلوب من شعوب العالم أخذ العبرة والدروس من هذا الموقف، ولحسن الحظ فإن شعبنا يتحلّى بكامل الوعي واليقظة.

على شعوب العالم التي طالما طرقت أسماعها شعارات الدفاع عن حقوق الإنسان وحقوق الأكثرية والدفاع عن الديمقراطية ــ كما يحلو لهم التعبير ــ التي تطلقها أمريكا وتتبجّح بها، عليهم أن يشاهدوا الوجه القبيح للسياسة الأمريكية من خلال مرآة فلسطين.

موقفنا تجاه الكيان الصهيوني

لقد أفصحت الجمهورية الإسلامية في إيران ــ منذ اليوم الأول ــ عن موقفها تجاه هذا الكيان اللقيط، فطالما صرّح الإمام الراحل والمسؤولون في البلاد, ولطالما أكّدنا أنه يجب استئصال هذه الغدّة السرطانية ــ إسرائيل ــ من المنطقة.

ولهذا المبدأ معياره الإنساني الذي يحظى بالقبول أيضاً، ويتمثّل في عودة جميع أبناء الشعب الفلسطيني ــ لا أولئك الناس الذين قدموا إلى فلسطين من شتّى بقاع الدنيا ــ الذين يعيشون في المجتمعات وسائر دول العالم إلى فلسطين، فَهُم الذين يتحمّلون مسؤولية إقامة دولتهم وتقرير مصيرهم، وليس هنالك فلسطيني سواء كان مسلماً ــ حيث إنّ الأغلبية من المسلمين ــ أو مسيحياً أو يهودياً ــ حيث يشكّلون الأقلية ــ يرتضي أو يسمح بأن تأتي شرذمة من صعاليك أزقّة لندن أو العوائل السائبة في موسكو أو أمريكا ليقيموا دولة في فلسطين ويتحكّموا بأبنائها؛ ومن البديهي أنّ الشعب الفلسطيني

والعالم الإسلامي يرفضان أن تأتي تلك الحفنة من الأراذل الـذين لا يحسـنون سـوى الاعتداء والضرب والعمل بما يمليه الصهاينة واليهود للتحكّم بفلسطين، فهذا مما يرفضه الفلسطينيون والعالم الإسلامي أيضاً.

أين الذين يزعمون احترامهم لآراء الشعوب ويتبجّحون بالديمقراطية؟! حسناً، هـذه هي الديمقراطية! فهنا بقعة من العالم لها أهلها الذين ما يزالون أحياء, وهنالك بضـعة ملايين يحيون في تلك الديار، وبضعة ملايين أخرى تتوزّع على المنافي ــ في لبنـان والأردن وبقاع أخرى ــ فليأتوا ويجتمعوا وينتخبوا حكومتهم بأنفسهم، وهذا أسلوب في غاية الصواب.

من المسلَّم به أنّ الحكومة الصهيونية التي تقبض على مقاليد السـلطة حاليـاً وأيـة حكومة صهيونية أخرى لا حقّ لها في البقاء والتسلّط على أرض فلسطين.

إننا نقول لإخواننا الأعزاء في فلسطين الذين يكابدون المصـاعب: إذا مـا قـاومتم وصبرتم فإنكم ستنالون الأجر والثواب بالإضافة إلى الانتصار؛ فالنصر يقتـرن دائمـاً بالصبر والسير في سبيل الله {ولينصرن الله مَن ينصره}[13] ولاشك في ذلك، وعليه فإن النصر لا محالة آتٍ، غاية الأمر أن عليكم التحلّي بالصبر والجلد.

ونقول للشعوب والدول الإسلامية: أنّ المسؤولية الشرعية المفروضة على الشـعوب والدول الإسلامية تتمثّل اليوم في مدّ يد العون لتلك الجماعة المؤمنـة وذلـك الشـعب المظلوم, وأن لا يتركوهم لوحدهم في الميدان، على أمل أن توضع هذه المساعدات في محلّها, وأن يكون لها الأثر النافع في التخفيف من آلام الشعب الفلسطيني بإذنه تعالى.

ندعو الله تبارك وتعالى أن يمنّ على الإسلام والمسلمين وعلى الشـعب الفلسـطيني بالغلبة على مشاكلهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

---

[13] سورة الحج، الآية: 40.

{إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً * فسبّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً}.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته